



كلية : كلية التربية /القائم

القسم أو الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : سمر سعد هاشم

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الأندلسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Andalusian Literature

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: الأندلس عصورها ومجتمعها

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Al-Andalus: Its Eras and Society

الأندلس عصورها ومجتمعها

تضم المحاضرة الأولى محاور عدة:

الأول تعريف موجز بالأندلس، والثاني عصور الأندلس، والثالث المجتمع الأندلسي. عناصره وصفات أهل الأندلس وكل ما يتعلق بالمجتمع .

تعريف موجز الأندلس:

اهتم المؤرخون القدماء والمحدثون بالحديث عن السنوات الأولى لفتح الأندلس وطبيعة الظروف التي صاحبته. ويبدو أن هذا الاهتمام ناجم عن عظم وجسامة الحدث التاريخي الذي اقترن بعملية الفتح. ولنا أن نلقي نظرة سريعة على هذه البلاد التي عرفت بأسماء كثيرة. وقد اطلق عليها اسم أيبيريا أو أيباريا أو هاباريا. نسبة إلى الأيبيريين الذين كانوا من أقدم سكان هذه البلاد . ويلاحظ ان هناك ثمة صلة تربط بين أيباريا وإشبانيا أو أصبانيا إذ تحول المصطلح الأخير في لغة القرون الوسطى الرومانسية إلى إسبانيا.

وقد أطلقه الفينيقيون على الشاطئ الذي نزلوا به من تلك البلاد ويعني شاطئ الأرانب لكثرة ما وافقها منها. تسمية الأندلس تقترن بدخول قبائل الوندال إلى إسبانيا بعد الرومان . وهذه التسمية ترد بصيغ أخرى هي الأندلش، الأندليش، فاندليسيا وفاندلس كما تدل صورة الكلمة في حروفها اللاتينية وكما يدل النطق الإسباني فاندلس.

يبحث الدكتور الطاهر مكي في أصل هذه التسمية ويعود بها إلى بذورها إذ يرى لها صورتين واحدة جرمانية والأخرى لاتينية. ينكر أن يكون العرب قد أخذوا هذه الكلمة من صورتها اللاتينية بل أخذها الفاتحون من أفواه البربر . يلاحظ التنوع في جغرافيا الأندلس التي تقع في الجنوب الغربي من أوروبا وتحيطها المياه من أكثر جوانبها باستثناء سلسلة جبال ألبرت أو ألبرتات التي تفصلها عن جنوب فرنسا، فمن الشمال الغربي والغرب المحيط الأطلسي الذي يعرف بالبحر الأخضر أو بحر المحيط أو بحر الظلمات ومن الشرق والجنوب البحر الأبيض المتوسط الذي يعرف بالبحر الرومي أو الشمالي أو تيران. وتنتظم الأندلس سلاسل جبلية تضم ودياناً وأنهار كثيرة وتحتل مساحة كبيرة منها المزيّتا التي تعني بالإسبانية النجد أو السهل المرتفع ولذلك تركز سكان هذه البلاد في السهول الشرقية والغربية والجنوبية على الأنهار الكبيرة

ومن الأمثال السائرة في أوروبا إذا تجاوزت معابر البيراني فاعلم أنك قد دخلت في أفريقيا وربما يستغرب القارئ هذا القول بعد علمه أن في جنوب ألبانيس بلاد طويلة عريضة هي أكبر أقسام أوروبا تتألف منها مملكتان أوروبيتان هما إسبانيا والبرتغال.

يرى الدكتور علي حمودة أن الجزيرة الأيبيرية في شجرها وحجرها وترابها وماءها أشبه بشمال أفريقيا وبغربي آسيا الشام إن تنوع جغرافيا الأندلس جعلها فيما هي عليهم الجمال حيث اعتذر أبو عمران موسى بن سعيد عن فراقها وكتب في جواب أبي يحيى صاحب سبته الذي رغبه في تركها إلى مراكش يقول كيف أفارق الأندلس وقد علم سيدي إنها جنة الدنيا بما حباه الله به من اعتدال الهوى وعذوبة الماء وكثافة الأشياء طرف الإنسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرارة نفسه

هي الأرض لا ورد لديها مكدّر ولا ظل مقصور ولا روض مجذب وأفق صفير وبساط من مديح وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الأديب عن أرض على هذه الصفة.

إلى أي عهد تعود فكرة فتح الأندلس؟ إن الفكرة فتح الأندلس كانت قديمة وهي تعود إلى عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكان فاتحوها ثاني الجماعتين اللتين أشاد بهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو من معجزاته في حديث شريف عن فضل الجهاد في البحر وبعد أن فتح المسلمون شمال أفريقيا واستقروا بها سنة 63 توجهت الأنظار إلى فتح الأندلس وكانت أول محاولة استكشافية سنة 91 حينما أرسل موسى بن نصير سرية مؤلفة منه خمسمائة مقاتل منهم مئة فارس في أربعة مراكب بقيادة أبو زرعه طريف ابن مالك المعافري وقد تكلفت ترك الحملة بالنجاح فاعقبها فكرة الفتح حيث تولى قيادة الجيش طارق ابن زياد سنة 92 هجرية وكان يتألف من سبعة آلاف رجل ثم لحقهم خمسة آلاف آخرون بقيادة طريف بن مالك ويرى بعض الدارسين أن الاتني عشر ألف جندي دخلوا جميعا بإمرة طارق وكان العبور من سبتة بمراكب تجارية قدمها حاكم سبتة اسمه جوليان، وقد نفذت هذه العملية في الليل استغرقت أكثر من ليلة واحدة وليست لدينا معلومات موثوقة عن إحراق السفن بعد العبور إلى الشاطئ لأنها لم ترد في معظم المصادر العربية القديمة. بعد أن أمضى نحو شهرين ونصف تتقدم نحو كورة شذونة وقعت فيها المعركة الفاصلة مع الإذريق في 38 رمضان 92 هجرية واستمرت ثمانية أيام وتذكر الروايات العربية أن جيوش الأعداء بلغت أربعين ألف مقاتل في أقل تقدير وفي بعض الروايات أنها بلغت مئة ألف وقد عرفت تلك الواقعة بأسماء كثيرة منها البحيرة وادي لكة وادي بكة وادي البرباط وأسماء أخرى تشير الأخبار إلى أن القوط استهانوا بجيش المسلمين حتى أنهم أعدوا ما يحملون عليه أسراهم ولكن النصر كان مؤزراً واستمرت عملية الفتح عدة سنوات حيث توغل جيش طارق ابن زياد في أعماق شبه الجزيرة العربية الأيبيرية وكانت أنباء الانتصارات تصل إلى أسماع موسى بن نصير بالقيروان واستجاب لطارق بإمدادات جديدة وسلك طريقاً آخر غير الذي سلكه طارق ليكمل عملية الفتح.

عصور الأندلس:

لابد لدارس تاريخ الأدب الأندلسي أن يتعرف على المراحل التاريخية التي تعاقبت على الأندلس ممثلة في الأنظمة السياسية التي حكمت شبه الجزيرة الأيبيرية لأن الأدب في مجمله جارى تلك الأحداث السياسية وتفاعل معها وانضوى تحت ظل العهود التاريخية التي سادت ومن هذه العصور أو العهود أولاً عهد الفتح والولايات وثانياً العهد الأموي ثالثاً عهد ملوك الطوائف والمرابطين رابعاً عهد الموحيدين خامساً والأخير عهد دولة بني الأحمر في مملكة غرناطة في البداية على العهد الأول عهد الفتح والولايات يستمر هذا العهد من سنة 92 إلى 95 بالنسبة للفتح أما الولاية من سنة 95 إلى 138 يشمل هذا العهد فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد استغرقت عمليات الفتح أربع سنوات ثم اعقبه أحد الولاة التابعين لملوك بني أمية في دمشق وقد كان أول والي هو عبد العزيز ابن نصير وآخر الولاة هو يوسف الفهري وتولى خلال هذا العهد حوالي عشرين والياً . العهد الثاني هو العهد الأموي يشمل الإمارة والخلافة والحجابه والفتنة يستمر من سنة 138 حتى سنة 399 يستهل هذا العهد بدخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وقضائه على آخر والي كان يحكمها حيث تم قطع الأندلس عن الخلافة ببغداد ويتولى حكم الأندلس سبعة أمراء آخرهم عبد الرحمن الثالث الذي يعلن الخلافة لأول مرة سنة 316 . قسم الدكتور هيكل عصر الإمارة من وجهة نظر الدراسة الأدبية إلى عهدين هو تأسيس الإمارة وصراع الإمارة وبعد وفاة الحكم المستنصر بالاسم 366 هجرية يتولى هشام الثاني الملقب المؤيد وكان حدثاً صغيراً مما جعل الحاجب المنصور الحاكم الحقيقي لبلاد الأندلس ولذلك عرف العهد بالحجابه وقد تولى بعده ولداه منهم عبد الملك وعبد الرحمن وفي عهد الأخير تضعف سيادته وتضطرب بالأمور حيث تم تنتقل الأندلس إلى عهد جديد أطلق عليه الدارسون عهد الفتنة استغرق حوالي 20 عاماً حكم خلاله 13 حاكماً ثم يفرض عهد الأندلس وتتحول إلى دولات صغيرة تحكمها أسر مشهورة ويسمى العهد عهد ملوك الطوائف . العهد الثالث هو عهد ملوك الطوائف والمرابطين ملوك الطوائف يستمر من سنة 400 إلى 484 أما المرابطين من سنة 484 إلى 540 يبدأ الأول يعني ملوك الطوائف بسقوط الدولة الأموية وقيام ممالك مستقلة بشكل دويلات تماثل عهد الدويلات في المشرق في القرن الرابع الهجري حكمت الأندلس أسر كثيرة وكيانات متنوعة أشهرها سبع أسر تركزت في أبرز الحواضر الأندلسية ولم تستمر الحال بملوك الطوائف حيث عادت الأندلس إلى وحدتها السياسية بدخول المرابطين وقضاءهم على ملوكها سنة 484 هجرية وكان مقيم تلك الدولة يوسف بن تاشفين واستمر حكم المرابطين حوالي نصف قرن حيث أصبح في الأندلس ولاية مرابطية وقامت الدولة الموحدية على يد مؤسسها محمد بن تومارت. العهد الرابع هو عهد الموحيدين يستمر من سنة 540 إلى 620 هجرية هذا العصر يبدأ بمجيء عبد المؤمن بن علي خلفاً لابن تومرت تخضع الأندلس لحكم الموحيدين فمنذ عام 541 هجرية تخضع الأندلس لحكم الموحيدين في

المغرب وتصبح ولاية تابعة لها واستمر عهدهم حوالي قرن من هذا الزمان حتى عهد بن الأحمر. العهد الخامس والأخير من عصور الأدب الأندلسي عهد دولة بن الأحمر في مملكة غرناطة يستمر هذا العهد من سنة 635 إلى سنة 897 هجرية تقوم هذه الدولة في رقعة صغيرة من بلاد الأندلس التي سقطت بأيدي الإسبان ويبقى المسلمون تحت سيادة بن الأحمر في غرناطة ويستمر حكمهم حوالي قرنين ونصف ويتمثل عهدهم نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس حتى تسقط دولتهم هي الأخرى لتؤذن بمغيب شمس الأندلس الساطعة بعد حضارة إسلامية زاخرة استمرت حوالي 8 قرون انتهينا من العصور.

المجتمع الأندلسي:

يشمل عناصر وصفات الأندلس وكل ما يتعلق بهذا المجتمع أيضا مكانة المرأة والناحية العلمية فيه كان المجتمع الأندلسي بعد الفتح مؤلفا من عناصر شتى تضم سكان البلاد الأصليين كما تضم الفاتحين المسلمين تعددت عصور سكان الأندلس وأجناسهم منذ أقدم العصور فقد نزلها السلتيون والجلالقة والبرابرة والقرطاجنيون ثم استولى عليها الرومان والوندال والقوط.

يمكن تقسيم المجتمع الأندلسي إلى أولا الأسالمة أو المسالمة هم الذين دخلوا الإسلام من أهل البلاد الأصليين وأبنائهم هم المولدون ثانيا الصقالبة هم الذين كان يؤتى بهم من مختلف البلاد الأفرنجية أطفالا ذكورا وإناثا فترعاهم الدولة وينشؤون نشأة إسلامية ثالثا المعاهدون هم اليهود والنصارى الفئة الأخرى سمو ب المستعربين هم الذين قبلوا اللغة العربية وتبنوا بعض العادات الإسلامية من أهل الأندلس الفئة الأخرى المدجنون هم الأندلسيون الذين لم يهاجروا من مناطق الأندلس التي سقطت بيد الإسبان والفئة الأخرى المورسكيون هم مسلمي غرناطة المورسكيون مسلمي غرناطة هم المسلمون الصغار الذين اضطروا إلى إظهار المسيحية وإبطان الإسلام والطائفة الأخيرة من المجتمع الأندلسي هم البربر من هم الذين كانوا مؤلفون نسبة كبيرة من جيش طارق بن زياد وكانوا زنتانيين وصنهاجيين دخلوا مع موسى ابن نصير وسموا بالبلديين ثم دخل بلج ابن بشر القشيري وفي صحبته عشرة آلاف الفان من الموالي والباقي من بيوت العرب وسموه بالطالعة الأولى أما الطالعة الثانية فهي قليلة العدد فهي قليلة العدد دخلت مع أبي الخطار حسام الكلبى فأنزل أهل دمشق بالبيرة وأهل الأردن بأبرية وأهل فلسطين بشذونة وأهل حمص بإشبيلية وأهل قنسرين بحيان وأهل مصر بباجه أسماهم ابن حزم الأندلسي بالأجناد الستة. صفات أهل الأندلس يتميز أهل الأندلس بصفات هي حب النظافة عرف أهل الأندلس بحب النظافة فكانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك وأيضا من ناحية الكسب والتدبير وصفوا بأنهم يتميزون بحب العمل وكسب العيش بالجهد وعمل اليد فكانوا يكرهون الكدية والتسول وأيضا بالنسبة للزري كانوا يهتمون أهل الأندلس بلباسهم وهندامهم وأيضا كانوا يحرصون على العلم فعرف أهل الأندلس بحب العلم وتقدير العلماء وقد انشأت في البلاد معاهد للعلم في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليطلة وكانوا

يطلبون العلم في المساجد ومما يدلنا على هذا العلم أو زيادة التقدم العلمي عندهم هو حرصهم على اقتناء الكتب والحيازة عليها.

هل كان للمرأة دور أو مكانة في الأندلس؟ لم يكن دور المرأة أقل من أخيها الرجل فقد شاركت في ميادين كثيرة واشتغلت بأكثر العلوم وعرف عدد منهن بحسن الخط فقد روى ابن أبي الفياض المتوفى سنة 459 هجرية في تاريخه كما نقله المراكشي انه كان بالريض الشرقي من قرطبة مئة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي هذا في ناحية من نواحيها فكيف في جميع جهاتها؟ وكان في قرطبة واحد وعشرون حيا تتضح مكانة المرأة الأندلسية من كثرة اعلام النساء الى ان يترجم لهن مصنفو الكتب حيث تذكر فيهن الشاعرة والكاتبة والعاملة والفقيهة والمحدثة وغيرها والنحوية اللغوية يشير ابن حزم الأندلس إلى ظروف المهن التي مارستها المرأة الأندلسية حيث نجد الطبية والدلالة والكاهنة والمعلمة وغيرها من النساء اللاتي يعملن سفيرات بين الأحبة الأمثال الأندلسية ما يعرب عن خصائص المجتمع الأندلسي وحين يتحدث الدكتور الأهواني عن أحد هذه الكتب حدائق الأزهار لابن عاصم الغرناطي المتوفى سنة 829 هجرية يرى ان فيه نافذة على نفسية اهل غرناطة وحياتهم الاجتماعية فمن ذلك ان هذه الأمثال تنسب إلى الأندلسيين الفضيلة الكبرى وهي حب العمل كما ذكرنا وتصور كراهيتهم للبطالة في صور مختلفة متعددة كما تعكس هذه الأمثال شغف القوم بالزراعة وما يتصل بها فلا عجب ان يكون ازدهار الزراعة واستبحار العمران اللذان تحدث عنهما ابن الخطيب ما دام حب العمل قد بلغت من نفوسهم هذا الحد.